

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[200] الكذب والنفاق ممتزجان بهم لحدّ لا يمكن فصلهما ، لقد كان المنافقون كاذبين دائماً ، والكاذبون منافقين غالباً . والتعبير بـ (إخوانهم) يوضّح لنا طبيعة العلاقة الحميمة جدّاً بين "المنافقين" و "الكفار"، كما ركّزت الآيات السابقة على علاقة الأخوة بين المؤمنين، مع ملاحظة الاختلاف بين الفصيلتين، وهو أنّ المؤمنين صادقون في أخوتهم لذلك فهم لا يتبرّمون بكلّ ما يؤثرون به على أنفسهم، على عكس المنافقين حيث ليس لهم وفاء أو مواساة بعضهم لبعض، وتبيّن حقيقتهم بصورة أوضح في اللحظات الحرجة حيث يتخلّون عن أقرب الناس لهم، بل حتّى عن إخوانهم، وهذا هو محور الاختلاف بين نوعين من الأخوة، أخوة المؤمنين وأخوة المنافقين. وجملته: (ولا نطيع فيكم أحداً أبداً) تشير إلى موقف المنافقين الذي أعلنوه لليهود بأنّهم سوف لن يراعوا التوصيّات والإنذارات التي أطلقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم. ثمّ .. للإيضاح والتأكيد الأكثر حول كذب المنافقين يضيف سبحانه: (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم). (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم). (ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار). (ثمّ لا ينصرون). إنّ الحن القاطع والقوي لهذه الآيات قد أدخل الرعب والهلع في قلوب المنافقين وأقلق بالهم. وبالرغم من أنّ الآية نزلت في مورد معيّن، إلّا أنّها – من المسلّم – لا تختص به، بل بيان أصل عامّ في علاقة المنافقين مع سائر أعداء الإسلام، بالإضافة إلى الوعود الكاذبة التي يمنحها كلّ منهم للآخر، وتقرّر بطلان وخواء كلّ هذه الروابط والوعود.